

## تجليات المظاهر الثقافية والاجتماعية لمدينة "بسكرة" عند الرحالة "ألفريد بارودون"

## The Manifestations of the Cultural and Social Aspects of the City of Biskra by

the Traveller Alfred Baraudon

\* أحلام قاط<sup>1</sup> / حسن دواس<sup>2</sup>Ahlem negat<sup>1</sup> / hassen.douas<sup>2</sup>

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي

جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، (الجزائر)

University 20 August 1955, Skikda, (Algeria)

[a.negat@univ-skikda.dz](mailto:a.negat@univ-skikda.dz)<sup>1</sup> / [hassen.douas@gmail.com](mailto:hassen.douas@gmail.com)<sup>2</sup>

تاريخ النشر: 2025/09/02

تاريخ القبول: 2025/06/05

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

## ملخص البحث

شكّلت الصحراء الجزائرية لكثير من الكتاب والباحثين العرب والأجانب، موضوعا خصبا يدفع للاكتشاف والتقصي فهي مساحة مثيرة مليئة بالأسرار والخصوصية، وقد اهتم بها جمع من الأوروبيين الذين قدموا إليها في رحلاتهم وزاروا عدة مناطق من الجنوب على غرار منطقة بسكرة Biskra التي عشقها الرحالة الغربيون وكان من بينهم ألفريد بارودون Alfred Baraudon، الذي أولى اهتماما كبيرا بعروس الزيبان وعمارته ومظاهره الثقافية التي تجلّت في كتابته عن المنطقة، حيث عرّف أقرانه من الغربيين بمجاهلها وكلّ أسرارها وخصوصيتها، وتهدف هذه الدراسة إلى رصد تجليات المظاهر الثقافية والاجتماعية لمنطقة بسكرة عند الرحالة Alfred Baraudon، فكيف تجلّت هذه الملامح عنده؟

الكلمات المفتاح: ألفريد بارودون، ثقافة، شرق، غرب، بسكرة.

## Abstract :

The Algerian Sahara has been a fertile subject for many Arab and foreign writers and researchers, inspiring exploration and investigation. It is an intriguing space filled with charm and privacy, which has captivated the interest of a group of Europeans who visited it during their journeys and explored several regions in the south, such as Biskra region, which was beloved by western travelers. Among them was "Alfred Baraudon", who showed great interest in the Queen of Ziban,

its architecture, and its cultural manifestations as reflected in his writings about the region. He became acquainted with its mysteries and uniqueness, which were unknown to his Western counterparts .

This study aims to monitor the manifestations of the cultural and social manifestations of the biskra region in the writings of the traveler Alfred Baraudon, and how did these features appear to him?.

**Keywords:** Alfred Baraudon, culture, east, west, Biskra.



## 1. المقدمة:

إنّ التنوّع والاختلاف بين البشر والمجتمعات سمة الله في خلقه، جعلها بينهم للتعارف والتّواصل والتّبادل التّقائفي والخبراتي، فالثقافة خاصيّة إنسانيّة محضة، تندرج ضمن حقل الأنثروبولوجيا الذي يحمّد علاقة الإنسان بالمجتمع إذ تعد موضوعه ومجال دراسته، ولم يدخل هذا المصطلح حيّز الموضوعية إلا في القرن التاسع عشر مع عالم الاجتماع "تايلور" Tylor في كتابه "الثقافة البدائية"، إذ يعرف الثقافة قائلا "هي تلك الوحدة الكلية التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"<sup>1</sup>.

يعدّ المجتمع الجزائري من المجتمعات المميّزة الهوية والأشكال الثقافية المتعدّدة، خاصة منطقة الصّحراء بعادات أهلها وتاريخ ثقافتها، مما أدى إلى استقطاب الرّؤى وشدّ النظر إليها من طرف الرحّالة الغربيين عامّة، وتعد مدينة بسكرة من بين المدن التي لاقت إعجابا كبيرا من طرف الرحّالة الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، كونها مدينة جزائرية صحراوية عريقة تميّز بمناخ خاص وبمناشآت عمرانيّة مميّزة وساحرة نظرا لتعاقب الحضارات المختلفة المشارب الفكرية والحياتية عليها، بدءًا بالحضارة الرّومانية وانتهاءً بالاستعمار الفرنسي، حيث تركت كل حضارة بصمتها في هاته المنطقة الصحراوية سواء في اللباس أو العمران أو العادات والتقاليد أو غيرها من الأنماط الثقافية، وقد تغلّ بها شعراء وروائيّون غربيّون ووصفوها في إبداعاتهم وكتبوا عنها على غرار: أندري جيد، هنري دوفيري، ألفريد بارودون، فيليكس هوتفورت. André Gide, Henry Duveyrier, Alfred Baraudon, Felix Hautfort تقع بسكرة في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر، تبعد عن عاصمة البلاد بحوالي 400 كلم، حيث يحدها من الشمال باتنة ومن الشمال الغربي المسيلة، ومن الشمال الشرقي خنشلة ومن الغرب الجلفة ومن الجنوب الوادي، وتبلغ مساحتها 20, 21671 كم وتختلف تضاريسها من الجبال في الشمال والسهول في الشرق والغرب والهضاب في الغرب أما المنخفضات فتغطي الجنوب والشرق من تراب المدينة.

كما تلقب مدينة بسكرة Biskra، بعروس الزيبان Ziban مفرد "زاب" Zab ويضم ثلاث مناطق متصلة: الزاب الظهراوي وتضم طولقة، لبشانة، وبوشقرون وفوغالة، والرّاب الغربي: ويضم: ليوة والصحيرة والمخادمة وبنطوس وأوماش، ومنطقة الرّاب الشرقي: وتضم سيدي عقبة، وسيدي خليل<sup>2</sup>

والزّاب كلمة مأخوذة من مدينة زابي zabi "الرومانية القديمة التي تقع بمنطقة الحضنة حيث لم يحتل الرومان المنطقة ولكنهم أنشأوا معقل حولها في ناحية بسكرة وعند المنفذ الجنوبي للأوراس"<sup>3</sup>.

تخطى هاته المنطقة الصحراوية بتاريخ عريق فهي بؤابة الصحراء حيث تصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وأصل تسمية بسكرة محل خلاف بين المؤرخين العرب والأجانب فمنهم من يرى أن، اسمها مشتق من كلمة فسيرة Vescera الروماني الأصل والذي يعني الموقع التجاري، نظرا لتقاطع العبور بين اتجاهاته الأربعة ومنهم من يرى أن اسمها الأول بيسينام Piscinam وهي كذلك رومانية وتعني المنبع المعدني نسبة إلى حمام الصالحين فيما يرى "زهير الزاهري" أن بسكرة تعني حلاوة تمرها دقة نور التي تزخر بها المنطقة"<sup>4</sup>.

كما استحوذت بسكرة على اهتمام الدارسين والأنثروبولوجيين وهو ما دعا الرحالة المستشرقين الأوروبيين للارتحال نحو الجنوب الصحراوي قصد الاستطلاع والاستكشاف، رغم تعدد أسبابهم وأهدافهم إلا أن كتاباتهم كانت خير برهان على تلك الوقائع حيث جسدت وأرخت لفترة من الفترات ومرحلة من المراحل ثقافياً واجتماعياً وسياسياً، ومنطقة بسكرة لا تخلّ من المظاهر الثقافية والاجتماعية كغيرها من المدن والمناطق المختلفة متجلية في عمارتها ومنشآتها وطبيعة هندسة شوارعها وتشكّل واحاتها فهي بلاد النخيل ومملكة الزيبان، إضافة إلى تيمة اللباس التي تميّز بها البسكريون من نساء ورجال وطابع الموسيقى وأشكال الرقص المتواجدة بعمق الزاب، وسنحاول في هاته الورقة البحثية، رصد تجليات المظاهر الثقافية والاجتماعية عند الرحالة ألفريد بارودون Alfred Baraudon الذي زار بسكرة وعدة مناطق من بلاد الجزائر، ومحولين الإجابة على مجموعة من التساؤلات المختلفة :

- كيف تجلّت الملامح الثقافية والاجتماعية لـ "بسكرة"، عند "ألفريد بارودون"؟

- إلى أي مدى ساهم التنوع الثقافي والتأثير الاجتماعي بالمنطقة في إبراز خصوصية الهوية البسكرية عنده؟

- كيف كانت نظرة الغرب - بارودون - للشرق بسكرة في كتابته عنها؟

متبعين في تحقيق ذلك المنهج الموضوعاتي وهو المناسب لتتبع جزئيات النص المختلفة، وصفا وتفسيرا، تأويلا ودلالة فهو "منهج بلا هوية، ميدان نقدي هلامي تتداخل فيه مختلف الرؤى الفلسفية والمناهج النقدية، التي تتطافر فيما بينها ابتغاء التقاط الموضوعات المهيمنة على النصوص في التحامها بالتركيب اللغوي الحامل لها"<sup>5</sup>.

وللتذكير فإن هذا الرحالة الغربي ولد عام 1864 وله عدة كتب من دار النشر الفرنسية Hachette بعنوان

"Algérie et tunisie", "Constantine", "Alger."

وللإجابة عما تقدم نحاول البحث في العناصر الآتية:

## 2. بسكرة المناخ والنشاط الإنساني:

تتماز منطقة بسكرة بمناخ شبه جاف إلى جاف نظرا لتموقعها على تخوم الصحراء، حيث شتاءها معتدل الحرارة إلى بارد نسبياً وصيفها حار جاف، كما تتوفر المنطقة على معالم طبيعية تاريخية حضارية وسياحية عززت مكانتها في الجنوب الصحراوي ممّا أدّى إلى تنوع النشاط الإنساني في المنطقة، فرغم قساوة المناخ استطاع سكّان بسكرة التعايش معه وخلق نظام شغل يناسب قدراتهم ومناخهم من بينها الفلاحة وعلى رأسها زراعة النخيل الملازمة لهذا المناخ الحارري

الجاف و التي تعد دعامه النشاط الاقتصادي والتجاري في المنطقة، كما نجد بعض الصناعات التقليدية كصناعة الحلي، كما تتميز العمارة البسكرية بطابع خاص يلائم مناخها و يسمح للسكان بالتكيف مع ظروف الحياة.

3. المظاهر الاجتماعية:

تختلف المظاهر الاجتماعية بشكل كبير بين مختلف الثقافات والمجتمعات، حيث تتأثر بالقيم والمعتقدات والعادات والتقاليد، وتتميز بسكرة بنظام اجتماعي خاص يميزها عن غيرها من المناطق الصحراوية انطلاقا من هندسة عمرانها ونمط معيشة سكانها، فهاهي طبيعة حياة المجتمع البسكري وماهي الملامح الاجتماعية فيه؟

1.3. حياة المجتمع البسكري:

إن الحياة بالصحراء قاسية للغاية نظرا لقساوة تضاريسها ومناخها، رغم كل هذه القساوة إلا أن سكان الصحراء ينعمون بالهدوء والصفاء النفسي بعيدا عن ضوضاء المدينة وحصنها، متأملين زرقة السماء والمناظر الخضراء للوحدات وعذوبة المياه الارتوازية إلا أن الظروف قد شكّرت أحيانا صفوة العين وراحة القلب كما جرى في بسكرة التي تعاني في صمت بؤسا عميقا منذ 1844م، بعد أن وقعت في أيدي الفرنسيين وقُتِمت إلى بسكرة القديمة وبسكرة الكولونيالية، حيث يسيطر اللون الأسود القاتم بكل معانيه السلبية القائلة للأمل على سكان منطقة بسكرة القديمة الأصيلة حيث الفقر يكسو الأفراد كما يعتبرهم هاجس اليأس من الحياة.

هناك في غياب جُحِ الأحران تراءى الحياة مستحيلة مع تسلط العدو وتهميشه للجهة الأصيلة من بسكرة، الرجال والنساء تعساء النَّاطِر، ألوان الرَّمَل الذهبية أصبحت باهتة، أفئدة السكان هنا مضطربة اضطراب أحوالهم ينامون عند عتبات البيوت تحت ظلال النَّخِيل في الهواء الطلق خيارى مضطربى الرُّؤية واقفهم مخزن، مستقبلهم مريب، لا شيء يدعو للاتباح في هاته المنطقة حيث الأمراض منتشرة، الفقر ذائع الصَّيت، النَّظافة منعدمة، بيد أن سكان المنطقة لا مَهْرَ لهم تضمن عيشهم الكريم يشتغلون برعاية الأشجار وحصاد التمر، إنها مصدر رزقهم ويقائهم على قيد الحياة حيث يستمرون في كبد عيش قاس، ويصور لنا "بارودون":، هاته الظروف والمشاهد القاسية في صورة تقريرية جادة يقول: "على عتبات الأبواب، في ظلال النخل، تنام كائنات ملتبسة، رجالا ونساء ملفوفين بالبرنوس، مثل الهيكل العظمية في الكفن"<sup>6</sup>

إنه مشهد ألم يلحظه الرحالة "بارودون" ويصفه لنا ثم يواصل قائلا<sup>7</sup>: "لقد ذهبت الشمس جلودهم، لكن التراب أسود وأصاب أطرافهم بالغرغرينا" والغرغرينا "هي عبارة عن موت الأنسجة، نتيجة نقص ارتوائها الدموي، مما يمهد لها العدوى البكتيرية ثم النَّحْر والتعفن"<sup>8</sup>.

إنها دلالة واضحة على سوء التغذية واضطراب مجرى الدم نتيجة للفقر، رغم كل هذا الحزن والأسى يجري الأطفال في معترك هاته الظروف المزرية مصدرين صراخ آهاتهم وأحلامهم المؤودة التي كانت أسبسطها مرح ولعب عند النَّخِيل، يقول الرحالة واصفا جو الأطفال: " يأتي الأطفال ويذهبون، وهم صاحبون للغاية وتآكل زوايا أعينهم وأفواههم مجموعات من الدُّباب الذي يلتصق بهم ويتكاسلون عن طرده"<sup>9</sup>، والدُّباب حشرة قدرة لا تحوم إلا حول الشيء التالف والمتعفن، وكانَّ الرحالة ينبئنا بالسوء وهو الوباء والموت فرائحة الموت في هاته الأرض الخراب منتشرة، رغم هاته الجثث المتحركة ورغم كل هذا الفقر والخصاصة إلا أن هناك ثلَّة قليلة من بين هؤلاء السكان الأصليين البسكريين، تمايزوا عن غيرهم

بسبب ثرواتهم ونسبهم بالمنطقة وهو ما عرف بنظام الإقطاع الذي سيطر منذ فترات على الثروات ليصبح متبئوها من الطبقة النبيلة، إلا أن هذا القانون قد اندثر مع الاستعمار الفرنسي الذي حارب الإقطاعية، والمجتمع الجزائري ككل حيث اتخذ سياسة القتل والتذريح وسيلة للإبادة ومن ثم الحلول والاستيطان بالمنطقة يقول "بارودون" معبرا عن الواقع المير لبسكرة: "إنّ بعض عائلات السكان الأصليين تتفوق على الآخرين بسبب قدم أصولهم وثرواتهم، ولسوء الحظّ انخفض عددهم بشكل ملحوظ منذ وصولنا إلى الجزائر"<sup>10</sup> وبهذا تلاشى الإقطاع وتحول الثبلاء من أسياد إلى بائعي ممتلكات بحكم القانون والعدالة ومن مالكي نفوذ إلى مقترضي عقاريين.

### 2.3. الدّعاة:

تعدّ الدّعاة من الظواهر الاجتماعية الدّخيلة على المجتمع الجزائري الإسلامي، كهماسة معارضة لمفومات وأخلاق المجتمع، وقد عملت الإدارة الفرنسية على نشر وتشجيع أفكار الرّذيلة في كلّ مناطق الجزائر رغبة في القضاء على القيم الأخلاقية والدينية للمجتمع الجزائري وخدمة لثروات الجنود الفرنسيين، وفي الصّحراء عملت فرنسا على بسط السيطرة على المنطقة ومدّ توسّعها الاستيطاني فيها.

فرغم جمال مناظر الصّحراء وسحرها إلا أنّ الفاحشة منتشرة بها وخزي العار يتدّثر بستارها، ولعلّ هاته الظّاهرة المشينة ارتكزت بصفة جليّة في قبيلة "أولاد نايل" التي عملت على ضمّ عدّة فتيات من عدّة مناطق صحراوية مختلفة، اتّخذن الرّذيلة مهنة لهمّ، وفي انتماء التّاليين يقول الرحالة الفرنسي بورد بول: "ينتمي النايبيون إلى قبيلة تجوب الصّحراء بين بوسعادة ومزاب، وهي استثناء من غيرة المسلمين التّقليدية على فضيلة المرأة، تذهب الفتيات الصّغيرات إلى مدن الصّحراء لجمع المهر ثمّ يعودون للزّواج في وسط شعهم حيث يتم تلقي الأكر إهانة"<sup>11</sup>. وفي بسكرة موضوع بحثنا صوّر الرحالة "بارودون" هاته الظّاهرة المنتشرة آنذاك ميّنا أنّ بسكرة مثل كلّ المدن تشغلها الدّعاة وتمتهن بناتها الفسق المشين يقول: "بسكرة مثل كلّ مدن الأوراس والصّحراء لديها بنات محبّات يشغلن أماكن خاصّة تضاء ليلا بالفوانيس الورقيّة، ولكنّها توجد بشكل رئيسي في المقاهي الواقعة على مشارف البلدة الأصليّة"<sup>12</sup>.

في هذا المقطع السّردى، قدّم لنا الرحالة طقوس ممارسة هاته السلوكات الفاحشة في البلدة الأصليّة بسكرة، حيث تتجمّع المومسات المحترفات في أماكن خاصّة التي اعتاد كل فاسق لقاءهنّ فيها، حيث تقوم المرأة بعد قدوم الرّجل إليها، بإزالة الفانوس من الشّرفة بعد أن يدخل الرّجل مخدعها لتتارس كل أنواع المحجون والفسق، فكانت هاته الفوانيس علامة على الشبقيّة الحزّمة والرّذيلة المقدّسة التي تنتشر رائحتها على امتداد ذلك الشّارع بأكله. كما عبّر جمع من الرحالة الأوروبيين عن هاته الظّاهرة في بسكرة عند زيارتهم للمنطقة من بين هؤلاء الرحالة "بيست أوغست" الذي صوّر في رحلته "بسكرة" واقع فتيات الرّذيلة، يقول في هذا الصّدد: "فتيات الصّحراء الجميلات، ذوات عيون الغزال الكبيرة، اللّاتي يأتين إلى بسكرة لينلن الإعجاب والتّقدير قبل كلّ شيء بسبب سحرهنّ الحقيقي وقيمتهم"<sup>13</sup>.

إنّ الرّذيلة في هاته المنطقة حق مشروع في نظر فتيات "أولاد نايل"، لأسباب كثيرة منها: الرّغبة في الثراء فلا سبيل لذلك في نظرهنّ إلا بيع عقتهنّ، ومنهنّ من يسلكن هذا التّهج انتقاما من المجتمع وتمردهنّ عليه، في حين ترى

أخريات أنّ الرّذيلة هي ملجأ من قسوة الحياة ومشاكلها، والغريب في الأمر أن المومس في بسكرة تتبوأ مكانة محترمة ويُنظر لها بعين التقدير والاحترام والإجلال رغم أفعالها المسيئة لسمعتها بالمجتمع.

### 3.3. الطابع العمراني في بسكرة:

يرتبط العمران ارتباطا وثيقا بالإنسان حيث يجسّد تاريخ مدينة بأهلها، فهو تراث انساني خلف بصمة حضارات سابقة، والعمارة البسكريّة معادل موضوعي للهويّة التاريخيّة بخصائصها وميزاتها التي تتفرّد بها عن غيرها كأشكال البناء الخارجي وهندسته أو من خلال شكل البيوت وجدرانها ومادّة صنعها وطريقة تسقيفها أو تشكّل الشوارع وضيقها واتساعها وواحاتها وتنوّع تمورها ومذاقها، حيث غني علماء التّاريخ والأنثروبولوجيا وعلماء الآثار بكل شكل من أشكال العمارة، قصد تبيان قيمتها الأثريّة وظروف تشكّلها وعوامل المحافظة على سماتها وخصائصها، كما غني المستشرقون بكل ما هو عربي عامّة وجزائري، خاصّة بقدوم الاستعمار الفرنسي للجزائر وتوغّله في الصّحراء وكافّة مناطقها الحدوديّة، حيث تمكّنهم عشقها وسحر رمالها الذهبية وتعاثق واحاتها ومذاق ثمراتها، فأطلقوا العنان لأفلامهم وأفندتهم للتعبير عن هذا التّحير العجائبي المتفرّد الذي لم يعهده في بلادهم ووجدوه في "بسكرة" موضوع بحثنا، فهاهي الملامح العمرانية فيها؟

### 1.3.3. شوارع المدينة:

كان للظروف السياسيّة والتاريخيّة الأثر البالغ في تشكّل هندسة المدينة حيث عمل الاستعمار الفرنسي على بسط نفوذه على كامل الجنوب الصّحراوي، وكانت بسكرة والزّيان من أشدّ المناطق مقاومة له نظرا "لتنافس عدّة شخصيّات بها وتعدّد طرق الصوفيّة وغيرها حيث تمّ دخول الاحتلال الفرنسي لبسكرة في 'مارس 1844م، بمساعدة الحركة التيجانية وأميرها بن فانة على يد الدوق دومال D'auale"<sup>14</sup>، وقد نتج عن سيطرة الاحتلال الفرنسي لبسكرة تشكّل المدينة الأوروپية، حيث جعل من بسكرة مدينة تخدم مصالحه وتتوفر على مرفقات ضرورية تسهّل قضاء حوائجه كمنطقة كولونياليّة، تخدم مصالحه الاستعماريّة وتدعو للمدينة والتحصّر خدمة للمستوطنين، ويجسّد لنا "بارودون" في رحلته إلى بسكرة، النسيج العمراني لها حيث تتشكّل من منطقتين: بسكرة الأصليّة وبسكرة الجديدة أو الكولونياليّة.

حيث تميّز شوارع بسكرة الكولونياليّة بالاتّساع والاستقامة كما ترزّن بالأشجار التي تمنح جمالا للتأظر في ساحة المدينة، حيث شيّد الاستعمار المدينة البسكريّة الحديثة خدمة للمستوطنين ورغبة في توفير أنجع سبل الحياة بغرض تشجيع حركة الاستيطان بالمنطقة حيث يقول الرحالة "بارودون": "بسكرة الحديثة هي قرية كبيرة يرجع تاريخها إلى عام 1844 م، شوارعها واسعة ومستقيمة، تصطفّ على جانبيها مباني من طابق واحد، مصنوعة من الطوب الجيري وأسقفها مبلّطة، وفي الوسط ساحة جميلة يواجه ذات الطراز الرّومنسكي"<sup>15</sup>. "فندق الصّحراء" الكنيسة الجديدة.

يقدم لنا الرّحالة من خلال هذا الوصف للمدينة البسكريّة الحديثة مشهدا لجماليّة فنيّة حضريّة حيث الشوارع الواسعة المنسرحة والبنائيات ذات الطابق الواحد التي يميّزها نمط ومواد بنائها حيث يستعملون الطوب الجيري أو الطوب المحجّف تحت أشعة الشّمس الذي يجفّفونه بطريقة تقليدية حسب عادات سكّان بسكرة، كما عملوا على بناء الفنادق وبعد فندق الصّحراء أقدم فندق بالمنطقة إضافة إلى بناء الكنيسة التي تعدّ واجهة المستوطن الأول وهدفه التّشيري للقضاء على الإسلام والعروبة، وجلب أكبر قدر ممكن من المستوطنين للمنطقة بتوفير كل ما هو ضروري للعيش الكريم، إضافة إلى توفّر المقاهي والحدايق حول المنازل والمباني للاسترخاء والتّمتع بالمنظر السّاحرة تحت ظلال الأشجار المصطفّة حول

المباني، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على جهود الفرنسيين المبذولة خدمة للاستيطان وفرض النفوذ والسيطرة على المنطقة وجعلها فرنسية بامتياز.

وككّل حديث مستحدث هناك أصيل متجدر محافظ على هويته رغم قساوة الحاضر والطّروف إنها بسكرة القديمة، التي تشكّل أطلال المدينة المخربة والتي تقع على طريق تقورت Touggurt وربما يعود ذلك الأمر إلى ذلك الزّوج الرّيفي الّذي كان نتيجة لقمع الاستعمار فلجأ سكّان القرى والقبائل والدّشرات إلى أماكن جبليّة محاذية للوادي، كما استقرّوا وسط الواحات بعيدا عن صحب المدينة المصطنع والمدينة المستحدثة، هناك حيث وجدوا ضالّتهم وجدوا هويّتهم وعروبتهم قبل أن يفد الأوروبيون مجدّدا لهذه المنطقة ويتعايشوا معهم ويدوّنوا أخبارهم يقول " بارودون" معيّرا واصفا هاته المدينة البسكارية القديمة: "أما بسكرة الأصلية فهي تقع على مسافة أبعد في الاتّجاه الجنوبي الشّرقي وتمتدّ على طول الوادي من خمسة إلى سبعة كيلومترات، وهي مقسّمة إلى أرباع غير منتظمة الشّكل، تفصل بينها مساحات فارغة كبيرة إلى حدّ ما إنّها الواحة وفي الثّربة الصّفراء والرّمليّة تمّ حفر قنوات مياه ارتوازية ترتفع بينها أشجار النخيل ... بسكرة وسيدي عقبة، توقرت، كل الواحات حقل من أشجار النخيل تقطعه الجداول وجدران من الطين"<sup>16</sup> إن هذا الوصف يؤكّد خصوصية المنطقة القديمة، التي تركّز سكّانها في الواحات البسكارية التي تتوفر فيها آبار المياه والسيول، وتزيّنها أشجار النخيل المنتشرة هنا وهناك، أو المتعاقبة في نظام أنيق ما يوحي بالبساطة في مشهد يؤسّس للبادية والأصالة والحضارة الشرقية القديمة، إنه نموذج للحياة الأولى حيث الحيام والحياة التجاريّة وتنوّع القوافل وتقاطع العبور، وليالي الأوس والبساطة في عمارة صحراوية تقليدية، رغم أنه انطباع مؤلم يعبر عنه اللّون الأصفر الباهت الذي يتمازج مع أشعة الشمس الحارقة الذي يجيّد الفقر والجدران الباردة الحزينة.

كما أن شوارع المدينة القديمة تمتاز بالتعرج والانعطاف غير متساوية يقول واصفا تلك الصورة: "بين هذه الحدود غير المنتظمة تتعرج الشّوارع على مدّ البصر بعرض غير متساو للغاية لتشكّل مربعات تفتح على جادات وتغلق على طرق مسدودة وهي مسطّحة أو جبليّة اعتادا على طبيعة الثّضاريس وغالبا ما تكون محفورة بالحفر وتتقاطع مع تحويلات من الوادي"<sup>17</sup>. وهذا ما تجسده طبيعة المنطقة القديمة، خلاف المنطقة البسكارية الكولونياليّة والتي استحدثت عمرانها الفرنسيون.

### 2.3.3. المنازل والمباني:

إنّ هندسة المنازل والمباني في بسكرة ذات نمط تقليدي بسيط بساطة الحياة بالمنطقة، حيث تبنى المنازل من الطوب المحفّف الذي يصنع من التراب المخلوط بالماء، ويُشكّل ثم يُجفّف تحت أشعة الشّمس، وهي طريقة البناء عند العرب، حيث يتراوح حجم الطّوب من 40 إلى 50 سم طولاً وعرض 20 سم، كما تكون المنازل دون أرضيّات ومرتفعة عن الأسوار المحيطة بها، وتقطع إلى حصون مربعة وثقب كبير يشكّل بابا، وبالجدران ثقب عديدة تدعم الشّرفة عن طريق تيجان النخيل المحوّفة والتي تعمل على تسريب المياه، ويصف الرحالة "بارودون" منظر هاته المنازل والمباني يقول: "كل شيء بشكل عام منهار مشقوق متكسّر، كما لو كان في حالة خراب، من بعيد لديهم المظهر المتغطرس لأسوار القلعة الإقطاعيّة التي تعلوها الأبراج والأبراج المحصّنة، لتشبه عندما يقترب المرء في فوضى سياجها المتهالك، بقايا انهيّار هائل"<sup>18</sup>.

والحصن والقلاع والبروج مظاهر تؤثت للحضارة الرومانية، فهذا المشهد الروماني ببسكرة يجسد القوة والعنفوان الحضاري الذي يحول إلى سراب فوّز الاقتراب منه ليحيلنا إلى الخضوع والاستكانة بعد الانهزام إنّه حال هاته المنازل التقليدية البائسة الشاهدة على تاريخ المنطقة وصراعاتها، تلتف حولها أشجار النخيل المنتشرة والمتكتلة المعبرة عن الحياة في نظارة أوراقها الخضراء التي تعانق السماء بثمارها الذهبية، يصف النخيل قائلا: "أوه، شجرة النخيل إنها ملكة الصحراء يتغذى على ثمارها شعوب مختلفة"<sup>19</sup>

إن الرحالة "بارودون" يتغزل من خلال هذا الوصف بالوحدات والنخيل، واصفا إياها بملكة الصحراء فلا تخلّ صحراء من النخيل، إذ تحاط ببسكرة القديمة بالنخيل المختلفة النمو شكلا ومذاقا، كما تبدو القرية مثل الشارع صفراء بأئسة.

يتكون المنزل البسكري من الداخل من: غرفة نوم ومطبخ وعلية أو حوش وموقد وحصائر وعدد قليل من الأواني، وهاته الهندسة المادية والتأثيرية للمنزل البسكري القديم توحى بالبساطة، كما توحى بتصميم إسلامي حيث يفتح المنزل نحو الداخل وينغلق من الخارج، وذلك مراعاة للخصوصية الأسرية وحفظ كرامة العائلة، عكس التصميم الكولونيالي في المدينة المستحدثة الذي تجسدت فيه معالم البناء الغربي بوضوح.

#### 4. المظاهر الثقافية:

تصنف العادات والتقاليد كسمة حضارية ورمز ثقافي يميّز منطقة عن أخرى ومجتمع عن آخر، إذ يحمل خلفيات مختلفة الأبعاد عن المناطق وتاريخ المجتمعات، ويختلف الزي التقليدي للرجل والمرأة عن الشرق والغرب ومن الشمال إلى الجنوب أي الصحراء، هذا المكان الذي يستحوذ على أكبر مساحة من مساحات الجزائر، ويتفرد سكان منطقة الزاب "بسكرة" تحديدا بأزياء مميزة تعكس الرّخم التاريخي للمنطقة وتأثير الحضارات المختلفة في تشكيل ثقافتها، كما تختلف الموسيقى والرّقص وأنواع الحلي من مكان لآخر.

#### 1.4. اللباس:

اللباس تيمة حضارية وميزة ثقافية تحمل هوية شعب بأكمله وفي بسكرة تختلف أنماط الزي بين الرجل والمرأة من منطقة إلى أخرى، فهاهي ملامح ذلك؟

#### 1.1.4. لباس الرجل:

تشكّلت الأزياء الجزائرية نتاج تفاعل الحضارات السابقة كالثوميدية والإغريقية والرومانية القديمة وغيرها، وسكان بسكرة لا يخرجون عن هذا التطاق فتاريخهم ضارب في الأعماق، حيث يلبس الرجل البسكري "البرنوس" الذي يصنع خصيصا من الصوف، هذا الزي الذي يوحى بالفخامة والهيبة والشجاعة، إذ كان على مرّ الزمن رمزا للمجد والبطولة والأصالة، إذ يعبر عن التاريخ العريق للمنطقة، والبرنوس هو "رمز للعروبة والأصالة لدى البدوي على الأخص وغالبا ما يكون من الوبر الخالص أو الصوف الخالص يلزم ملازمة الظل لصاحبه"<sup>20</sup>، ويقدم الرحالة بارودون "في نصّه مشهدا معبرا عن زي الرجل البسكري يقول: "يرتدي الشّباب فقط قميصا صوفيا مفتوحا بلا أكمام وبدون ياقة وهو نوع من الثّوبا القصيرة التي يربطونها عند الحصر بجبل"<sup>21</sup>

فالبرنوس عند الرجل البسكري يُلّف بشريط عند الخصر، عكس البرنوس الذي ترتديه المرأة إذ يكون مطرّزا، والبرنوس لباس أمازيغي كما هو معروف بشمال إفريقيا إذ يتميز به سكان كل من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، وقد عرفه التوميديون من قبل، واستمر أثره كموروث ثقافي عريق إلى يومنا هذا، حيث يرمز للمقاومة والشرف والمجد، إذ يقدم كهدية للعطاء والوجهاء في المحافل المختلفة نظرا لقيمتها التراثية وأصالته العظمى، كما يلمح في تشكيلة زي الرجل البسكري تلك التشكيلة المختلفة للأسلحة اليدوية على زيه إما في خصره أو على كتفه، كالخنجر والبندقية والرمح والسكاكين وغيرها، ولعل هذا راجع لطبيعة المنطقة الصحراوية الوعرة التي تختمل المخاطر، وذلك دفاعا عن أنفسهم سواء من قطاع الطرق والغزاة أو من الرّواحف السّامة المختلفة التي تباغت سكّان المنطقة البسكرية بين الحين والآخر، كما قد يحتاجونها للصّيد فالبسكريون يمتنون الصّيد أحيانا كصيد الغزلان والأرانب البرية وأنواع من الطيور كالصقور وغيرها....

والتسلح بأنواع الأسلحة المختلفة سمة أمازيغية قديمة قدم الاستقرار بالصحراء، كما أنها علامة سيميائية دالة على الشجاعة والمواجهة والقوة إذ كثيرا ما يدافعون عن قوافل الركب التجارية ويحمونها من اللصوص التي تجوب عمق المنطقة الزاينية أو محاذاتها نظرا لمعرفتهم العميقة بالمنطقة وتضاريسها الوعرة.

#### 2.1.4. لباس المرأة:

يأخذ الزي البسكري طابع الاختلاف بين الرجل والمرأة، حيث يمتاز هذا الأخير بالاحتشام والحفاضة وهي سمة المرأة الصحراوية عامة حيث يرتدين الملابس المتسعة الفضفاضة، وتعدّ "الملحفة" أهم لباس تقليدي نسوي ببسكرة، يعود أصلها إلى العصور الأمازيغية القديمة كالحضارة التوميدية أو نتاجا للتأثير والتأثر مع بعض الحضارات المجاورة للبحر الأبيض المتوسط، كما لا يستبعد أنها تولدت من تأثير الزي الإغريقي الروماني القديم "ومن المؤكد أن الملاحف الرومانية قد جاءت تقليدا لأسلافها الإغريقية والإتروسكية، وأن استعمال سكان إفريقيا الشماليّة والصحراء لهذا النمط من الأزياء كان سابقا للتوسّع الروماني حول البحر الأبيض المتوسط"<sup>22</sup> وعلى الرغم من قدم الحقب التي ظهرت بها الملحفة كشكل ثقافي خاص يمثل أنثروبولوجيا معينة، إلا أنها لاتزال محافظة على أصالتها وقيمتها التراثية على مر الزمن حيث تشكل أصالة المجتمع الجزائري وحفاظه على تقاليده وموروثاته، والملحفة "هي قطعة من القماش المميز الخاص بهذا النوع وغالبا ما يكون أيضا مزركشا، يغطّي كامل جسم المرأة من الرّقبة إلى القدمين وترتديه القواعد من النساء"<sup>23</sup>

كما ترتدي نساء بسكرة أيضا ما يعرف بالحايك، وهو لباس يغطّي كامل الجسد ذو لون أبيض أو عاجي خلاف منطقة الطوارق أقصى الجنوب التي يرتدي نساؤها ما يعرف بالأكرهاي وهو الملحفة الفضفاضة اللماعة، وما نلاحظه هو تعدّد اللباس التقليدي للمرأة البسكرية بين الملحفة والحايك والبرنوس النسوي المطرّز وغيرها من الأزياء التقليدية الأخرى، التي تعدّ تيمة ثقافية وعلامة سيميائية دالة على التأثير والتأثر والتفاعل الثقافي والحضاري بين الجزائر وما جاورها وتمركز بها .

ويقدم لنا بارودون " في نصه "بسكرة" مقتطفًا سرديا يوضح لنا تنوع الزي البسكري للرجل والمرأة يقول: "في ظلال النخيل تنام كائنات ملتبسة رجالا ونساء ملفوفين بالبرنوس أو الحايك"<sup>24</sup>

وعموما يمكن القول، أن اللباس النسوي البسكري ليس فقط عبارة عن هوية ثقافية قبلية وجمعية بقدر ما هو رمز للشرف وحياء الانثى وحشمتها وسموها مما تعددت أشكاله وألوانه.

## 2.4. الرقص والموسيقى:

يعدُّ الرِّقص من أقدم اللُّغات التَّعبيرية التي مارسها الإنسان عبر لغة الجسد للتعبير عن مشاعره من حب وفرح وحزن وألم، ورغم تطور وسائل التعبير فقد ظلت الموسيقى والرِّقص لغة الشعوب، والمجتمع الجزائري عامة والصحراوي خاصة يمتاز بموسيقى معينة ورقصات مميزة تختلف من منطقة إلى أخرى، وفي بسكرة موضوع دراستنا يعرض لنا "بارودون" أجواء الرقص بالمقهى من طرف مجموعة من راقصات "أولاد نايل" وهي قبيلة جزائرية تضم عدة عائلات يتركزون بالجلفة وبسكرة من أصول عربية وبربرية إذ كان لهم الأثر الكبير في المقاومة الوطنية يميز رجالها بالفروسية وقد امتنت النساء التَّاييلات الرِّقص حيث قدموا من مناطق عديدة رغبة في إغواء الرجال والتكسب وبعضهم إغواء للرجل الفرنسي واقناعا له بالموث بالمنطقة الجنوبية إذ كان أغلب زبائنهم من العسكريين أو من الإدارة الفرنسية.

ويذهب الرحالة الفرنسي هوتفورت فيليكس "Hautfort Félix" هذا المذهب مبرزا إرادة هاته النساء المطلقة في انتباه هذا النَّهج الفاحش يقول: "هؤلاء النساء اللَّاتيَّ أهملن الحجاب منذ سنِّ الرِّواج لم يكن بوسعهن أن يطمحن إلى مرتبة العرائس"<sup>25</sup> منذ ذلك الحين فصاعدا افتتحت مهنة أخرى بعيدة كل البعد عن شرعية عيادة النساء، يصف "بارودون" في نصه السردى جوَّ الرِّقص والموسيقى ابتداءً بوصف المكان "المقهى" وحيِّزه الهندسي يقول: "غرفة المقهى مستطيلة ومطلية باللون الأبيض ومستقوفة بعوارض بتيَّة، على الطَّبة الحجرية الواسعة جدًّا التي تمتدُّ على طول الجدران، اتَّخذ المتفرِّجون أماكنهم بسكريس بئِّي اللَّون في الهواء الطلق"<sup>26</sup>

إنَّ هذا الجوّ يوحي بالحركة والتغيُّر وعدم الاستقرار، إنه تمُّردٌ وسخطٌ على الحاضر فالشَّكل الهندسي المستطيل للمقهى يوحي بالضجر وعدم الثَّبات كمرحلة انتقالية، وهذا ما ينطبق على راقصات المقهى حيث يملكهن السخط والضجر والتمرد على واقعهن رغبة في موااساة النفس واكتساب نقود قد تغير حالهن، وهنا تكمن العلاقة بين شكل المستطيل للمقهى والأفعال التي تقوم بها الراقصات وفرقتها، ولعل هذا ما تذهب إليه عالمة النفس Dillinger Suzan ديلينجر سوزان" في دلالة الشكل المستطيل وعلاقته بالأفراد تقول: "المستطيل أناس في فترة تغيير، ليسوا على يقين تام بما سيقتودهم إليه هذا التغيير، إنهم ساخطون على الموقف الراهن مستعدون لتجربة أي شيء كان، مرتبك، مثير، مختلف.."<sup>27</sup>

يوصل الرحالة سرده لمجريات الأحداث داخل المقهى حيث يتجمهر في الهواء الطلق سكَّان "بسكرة" من الرُّوج والعرب الملتفين حول المقهى، بينما تتموقع الأوركسترا في جانب المقهى معها موسيقيان، ولا يغيب عن ذهننا تلك العلاقة الحتمية والثيقة بين الرِّقص والموسيقى، وفي منطقة بسكرة تترج الموسيقى بين الموسيقى العربية والإفريقيَّة والشرقيَّة هاته الأخيرة التي جسَّدتها راقصات المقهى، حيث تتجهز الرِّاقصات للرِّقص في ساحة المقهى أمام الملاء، على إيقاع موسيقى الفرقة مترينات بأجمل اللباس ومتقلِّدات بأبهي الحلي

مثيرات، شعوفات، يرقصن الرِّقص الشرقي وهو "نوع من الرقص، اشتهرت به مصر وشمال إفريقيا ومنطقة الشرق الأوسع عموما، قائم على حركات تعبيرية بالخاصرة والأذرع والتسيقان، وله زبي خاص مميِّز به يكسبه سمعته وشهرته بالحسيَّة والإغواء"<sup>28</sup>، إن هاته الرِّقصة الشرقيَّة التي تؤدِّيها راقصات "أولاد نايل" بالمقهى لها تقاليد وأصولها

من: زي مغري وتسريحة شعر مميّزة، وحلي جذابة مثيرة وموسيقى إيقاعيّة تنفّس الصّعداء عن أفئدة زبائن القاعة كما توجّج أنفسهم لتفصح عن الفاحشة المخزية، فهاهي ملامح الإغواء الفرجوي التي انتهجتها الرّاقصات في فضاء المقهى؟

**1.2.4. زي الرّاقصات:**

ترتدي الرّاقصات جميلات الملامح والقديّ ملابس عارية منكشفة الصّدر والخصر والسّاقين لمنح الحرّيّة للجسم الفاتن بالتّحرك بطلاقة وانسيائيّة ورغبة في شدّ نظر أكبر قدر ممكن من زبائن المقهى وبالتالي نيل إعجابهم ومن ثمّ كسب الدراهم العديدة فالأكثر مياعة هي الأكثر قيمة، ويصف "بارودون" ذلك يقول: "يظهر في الفجوة جلد عاري أسمر ومشدود مثل رقيّ الطّلبة، وقفت الرّاقصّة أمامنا مباشرة، يظل الجزء العلوي من الجسم ثابتا تماما وكذلك الجزء السفلي من السّاقين، لكن كلّ شيء آخر من الرّكبتين إلى عظم القيص يتحرّك ذهابا وإيابا"<sup>29</sup>.

إن هاته الحركات من ميزات الرّقص الشّرقى الذي انتشر بمصر قديما والتي تعتمد على تحريك أطراف الجذع بطريقة اهتزازية وسريعة، تميزت أزياء الرّاقصات المغرية بين الأحمر والسّاش الأزرق، والملابس اللّامعة بين الأخضر والأبيض ولعلّ استخدام الرّاقصات للثياب باللّون الأحمر راجع لعدّة أسباب، منها أنّ قبائل أولاد نايل كانت تصبغ خيمتها باللّون الأحمر تمييزا لها عن باقي القبائل والذي أصبح فيما بعد شعارا لهم، كما أنّ اللّون الأحمر يرمز للرّوح والشّهوة والقلب فهو لون النّار والدّم، لون الليالي الحمراء الماحنة مجونة أفعال هاته النّسوة بالمقهى، كما أنّه لون الأباطرة والأشراف إذ يعدّ هذا اللّون سمة فئات معينة كما تقول الرّوايات أن أولاد نايل من نسب شريف يعود لآل البيت.

في حين يعبر اللّون الأزرق عن الأحلام والغوص في عوالم الهدوء والسّكينة ولعلّ هذا ما ترمي إليه هاته الرّاقصات من تحقيق متعة للزّبائن وهدوء نفسي يعيشونه تلك اللّحظات، أما اللّون الأخضر فيرمز للشفاء، فهو لون الحياة والأمل لون الشّرف والخصوبة، وهذا ما توجي به تلك القبعة المدبّبة التي تضعها الرّاقصّة على شعرها المجدّد، حيث تتلوّن باللّون الأخضر والدّهبي مثل فستانها، حيث يرمز للحياة والخصوبة التي تحقّقها أعماق الصّحراء، "ما يزال بعض الإسبان يضعون شارات خضراء على قبعتهم علامة الشّرف وقد ورثوها عن العرب"<sup>30</sup>، كما أن هؤلاء الرّاقصات في بسكرة قد اعتنبن بتسريحة شعرهنّ أيضا للظهور بأجمل صورة.

#### 2.2.4. تسريحة شعر الرّاقصات:

يعتبر الشّعر سرّ جمال المرأة وقد اعتنت به المرأة في الرّيبان اعتناء كبيرا حيث لا يكتمل جمالها إلى جانب زينا وحليّها دون تسريحتها، ومن بين هاته التسريحات نجد:

- الصّغيرة: وهي من التسريحات التي امتازت بها شمال إفريقيا عامة إما ضفائر منسدلة على الأكتاف أو مرتفعة عنه وتتميز بها نساء الجنوب الجزائري، حيث تختلف الصّفائر التي تشكّلها المرأة الصحراوية بشعرها من امرأة إلى أخرى فصفائر المرأة المتروّجة تختلف عن ضفيرة المرأة العازبة كما تختلف عن ضفيرة العجائز والنساء المتقدّمات بالعمر كما تختلف في الأيّام العادية عن ضفيرة الأعراس والمناسبات، وفي نصّنا "بسكرة" يصف لنا "بارودون" تسريحة شعر "صفيرة" راقصات أولاد نايل بالمقهى يقول: "شريط سميك من الشّعر الأسود مغطّى بدهن الأغنام مما يجعله مجعدا يحيط الوجه وينسدل في ضفائر ثقيلة على الكتفين"<sup>31</sup>

إن هذا المقتطف السردي يصف لنا شعر الراقصات، إذ هو شعر مُجَعَّد شبيه بشعر الإفريقيات وضافاً هنّ، كما أن هاته الراقصات يستخدمن زيت الأغنام للحصول على شعر قوي، خال من التساقط ويسهل تجعيده ومن ثم عمل ضفائر به.

### 3.2.4. حلّي الراقصات:

تعد الحلّي من الإكسسوارات الهامة لزي المرأة والتي تؤثت جمالها وتعدّ الفصّة هي الحلّي المعتمدة عند نساء بسكرة عامة نظراً لبساطة المرأة الصحراوية، وفي رحلتنا "بسكرة" نتقلد الراقصات أشكال من:

- الحلقات الفضية: وتضعها الراقصة في الأذنين كنوع من الأقراط كما تضعها حول الدّراعين والأرجل وهو نوع من الخلخال الفضي الذي يزيد المرأة جمالا ويحدث أجواء موسيقية عند رنينه بالأرجل أثناء الرّقص.

- السخاب: وهو عقد دائري به رائحة عطرة يوضع على العنق ليتوسّط الصدر، وكلّ هاته الحلّي عملت على إبراز جمال الرّاقصات من جهة وكذلك جلب المتعة والتشويق برنينها المتناسق للحاضرين.

وفي المقهى رقصت الرّاقصات على أنغام آلة "القصبه" وهي من الآلات الموسيقية التي يستعملها سكّان الجنوب بكثرة، كوسيقى لهم ويرقصون على أنغامها في أفراحهم ومسراتهم، حيث "لا تكاد خيمة تخلو منها، وقد ارتبطت بالجواد والصّيد والرّعي، فهي رقيقة الرّاعي وكلّ بدوي، فلا تكاد تجد بدويا من أهل المنطقة لا يحسن استعمالها، تستعمل في الولائم والحفلات"<sup>32</sup>، فهي طابع فرجوي ثقافي وقد استمرت قداصة هذه الآلة الموسيقية حيث اعتمد عليها جمع من الصّوفية في الهند وبلاد فارس تحت مسمى "التّاي"، فالموسيقى البسكورية تيمة ثقافية دالة على خصوصية المنطقة كما أنها تعبير شرعي عن الفرح والسّعادة واللّهو وتختلف من منطقة إلى أخرى ومن مناسبة لأخرى، وعلى أنغام القصبه وموسيقى الفرقة رقصت الرّاقصات رقصة "الترشق" انطلاقاً من حركات الجدع والأطراف المثيرة، وهي رقصة تمّ عن إعجاب الرّباغن بالرّاقصة وحركاتها، وهي "تدوير قطعة من الثّقود عدّة مرّات على رأس الرّاقصة وتسليمها لصاحب القصبه، وعادة رميها وسط البندير لتفادي قطع الحصّة، وقد تكون إعجاباً بالرّاقصة أو تكزماً للفرقة"<sup>33</sup>، وهذا ما دوّنه "بارودون" في نصّه السردي حيث لاحظ أنّ زبائن المقهى منسجمون مع حركات الرّاقصات المغربية ومع موسيقى الفرقة إذ يعيرون عن إعجابهم الشّديد بتلك الأجواء المثيرة عن طريق رشق الرّاقصات بالثّقود على أجسادهنّ يقول: "وكانوا يلصقون العملات المعدنية على خدودهم وأكتافهم، دليلاً على كرم معجبهم"<sup>34</sup>، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اختلاف وتنوع أشكال الرقص من منطقة إلى أخرى حسب عاداتها وتقاليدها ومقامها، بيد أن فلكلور القصبه يجمع بين كل الأفضية الصحراوية انطلاقاً من بسكرة بوابة الصحراء إلى غاية أقصى الجنوب.

### 5. خاتمة:

من خلال ما تقدم في ورقتنا البحثية نتوصل إلى التّناجح الآتية:

- مناخ منطقة بسكرة مناخ حار وجاف، كما أنّ زراعة التّخيل وجني التمور أساس النّشاط الاقتصادي والتجاري بالمنطقة.

- بين الرحالة "ألفريد بارودون" أنّ المجتمع البسكوري محافظ على عادات وتقاليده الأجداد.

- تأثّر البسكوريين بالحضارات السّابقة واضح من خلال العمران واللباس والموسيقى والرّقص.

- تجلّي ذلك الفرق الشّاسع بين بسكرة القديمة ببساطة تأنيثها وتقليديّتها وبسكرة الكولونياليّة بهندستها الغربيّة وتوفّرها على متطلّبات الرّاحة.
- انتشار ملفت للدعارة في بسكرة كظاهرة دخيلة على المجتمع الجزائري عامّة والبسكري خاصّة.
- بيّن "بارودون" مكانة راقصات أولاد نايل في بسكرة حيث ينالون كل الاحترام والتقدير.
- بيّن تعدّد أشكال اللباس بين الرّجل والمرأة، كما بيّن تركّز الموسيقى على آلة القصبة بالمنطقة.
- جاليّة لباس الرّجل البسكري الذي يتقلّد أسلحة يدويّة على خصره وكتفه.
- رغم إعجاب "ألفريد بارودون" بمدينة بسكرة وتقديمه لتلك الصّورة المشرفّة لها إلاّ أنّه لم يستطع أن يُخفّي استعلاءه على- الشّرق- "بسكرة" بتبنيان مواضع قوّته- الغرب- في أكثر من موضع في نصّه.

### هوامش:

- 1 غيتز كليفور، 2009، تأويل الثقافات، ترجمّد بدوي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، ص8.
- 2 بومعزة عبد القادر، 2016، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ص18.
- 3 العربي إساعيل، 1983، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ص142.
- 4 بومعزة عبد القادر: بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ص.28.
- 5 وغليسي يوسف، 2007، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ص، 147.
- 6 Baraudon Alfred. 1893 . Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, librairie Plon ,Paris, p,174
- المرجع نفسه: ص 174.
- 8 علي باشا إبراهيم وآخرون، دت، معجم المصطلحات الطبية، مجمع اللغة العربية، ج2، جمهورية مصر العربية، ص254.
- 9 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études,p 174.
- المرجع نفسه: ص175. 10
- 11 Bourde Paul: A Travers l'Algérie Souvenirs de l'excursion Parlementaire G, Charpentier, Éditeur, Paris,1880 p142.
- 12 Baraudon Alfred: Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p181.
- 13 Besset Auguste: Atravers l'Algérie d'Aujourd'hui Notes et Croquis, Chagny Imprimerie Roy Frères. 1896,p,188
- 14 سعد الله أبو القاسم، 1992، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ط1، دار الغرب الآسي، بيروت، لبنان، ج1، ص284.
- 15 Baraudon Alfred: Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 170 .
- المرجع نفسه: ص171،170.
- 17 المرجع السابق: ص 172.
- 18 المرجع نفسه: ص172
- 19 المرجع نفسه: ص173.
- 20 لمباركي الحاج، 2009، صور وخصائل من مجتمع أولاد نايل، منشورات السهل، الجزائر، ص51

- 21 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 173 .
- 22 وزارة الثقافة، 2011، الزي التقليدي تراث ثقافي حي للجزائر، قصر الزيانين الملكي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص 23 المرجع نفسه: ص 22
- 24 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 174 .
- 25 Hautfort Félix. 1897. Biskra, Paul Ollendorf, Éditeur 28 bis, Rue de Richelieu, Paris, p27
- 26 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 182 .
- 27 ديلينجر سوزان، 2005، التواصل رغم اختلافاتنا، التعرف على نظام الأشكال الهندسية النفسية، ط 1، مكتبة جرير، السعودية، الرياض، ص 12.
- 28 يحيى شذى، 2020، الإمبريالية والهشك بثك تاريخ الرقص الشرقي، فكر، القاهرة، ص 9.
- 29 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 183.
- 30 عبود كلود، 2013، الألوان دورها تصنيفها، مصادرها، رمزيها ودلالاتها، ط 1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 94.
- 31 Baraudon Alfred : Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 183.
- 32 لمباركي الحاج: صور وخصائل من أولاد نائل، ص 45.
- 33 المرجع نفسه، ص 47.
- 34 Baraudon Alfred: Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, p 184 .

### قائمة المراجع:

1. بو معزة عبد القادر، 2016، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ط 1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر.
2. ديلينجر سوزان، 2005، التواصل رغم اختلافاتنا، التعرف على نظام الأشكال الهندسية النفسية، ط 1، مكتبة جرير، السعودية، الرياض.
3. سعد الله أبو القاسم، 1992، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 1.
4. عبود كلود، 2013، الألوان دورها تصنيفها، مصادرها، رمزيها ودلالاتها، ط 1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. العربي إسماعيل، 1983، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر.
6. علي باشا إبراهيم وآخرون، دت، معجم المصطلحات الطبية، مجمع اللغة العربية، ج 2، جمهورية مصر العربية .
7. غيتز كلينفورد، 2009، تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة.
8. لمباركي الحاج، 2009، صور وخصائل من مجتمع أولاد نائل، منشورات السهل، الجزائر.
9. وزارة الثقافة، 2011، الزي التقليدي تراث ثقافي حي للجزائر: قصر الزيانين الملكي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
10. وغيلسي يوسف: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
11. يحيى شذى، 2020، الإمبريالية والهشك بثك تاريخ الرقص الشرقي، فكر، القاهرة .

### المراجع الأجنبية

12. Baraudon Alfred. 1983. Algérie et Tunisie, Recit de voyages et études, librairie Plon Paris.

13. Besset Auguste. 1896. A Travers l'Algérie d'Aujourd'hui Notes et Croquis, Chagny Imprimerie Roy Frères.
14. Bourde Paul. 18880. A Travers l'Algérie Souvenirs de l'excursion Parlementaire G, Charpentier, Éditeur, Paris.
15. Hautfort Félix. 1897. Biskra, Paul Ollendorf, Éditeur , 28 bis, Rue de Richelieu ,Paris.